تفسير آيات متعلقة بالدعوة إلى الله -2-

[آل عمران: 104-105]

في قوله ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 104-105]

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما أظهر لهم نعمة نقلهم من حالتي شقاء وشناعة إلى حالتي نعيم وكمال في قوله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: 103]، وكان حريا بهم أن يسعوا بكل عزمهم إلى انقاذ غيرهم حتى يكون الناس أمة واحدة خيرة[1] .

وأما مناسبة الآية الأولى للثانية فإنه تعالى لما أمر بالدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أكدّه بالنهي عمّا يضادّه مُعَرّضاً بمن نزلت هذه الآيات فيهم من أهل الكتاب فقال : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا)[2]؛ وفيه إشارة إلى أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يفضي إلى التفرق والاختلاف إذ تكثر النزعات والنزغات وتنشق الأمة بذلك انشقاقا شديدا[3]؛

ثانيا: غريب الألفاظ الواردة في الآيات:

- **{أُمَّة}** الأُمة بضم الهمزة: الجماعة دينهم وأمرهم متفق، يجمع على أمم. أمة} طائفة يدعون إلى الخير، والأمة في القرآن الكريم وردت على معان متعددة، منها الطائفة، ومنها الزمن، ومنها الإمامة، ومنها الملة، فمثالها في الطائفة هذه الآية {ولتكن منكم أمة}، ومثالها في الملة قوله: {إنا وجدنا آباءنا على أمة} [الزخرف: 22]، ومثالها في الإمامة {إن إبراهيم كان أمة} [النحل: 120] ومثالها في الزمن: {وادكر بعد أمة} [يوسف: 45]، أي بعد زمن تفسير العثيمين: آل عمران (2/ 5)
- **يدعون}** والدعاء إلى الشيء: الحث على قصده[4].
- **{الخير}** الخير: ما يرغب فيه الكل، كالعقل مثلا، والعدل، والفضل، والشيء النافع، وضده:الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق، وهو أن يكون مرغوبا فيه بكل حال، وخير وشر مقيدان، وهو أن يكون خيرا لواحد شرا لآخر

---

[1] التحرير والتنوير (4/ 36)

[2] نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور - م (2/ 133)، تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (8/ 316)

[3] التحرير والتنوير (4/ 42)

[4] المفردات في غريب القرآن (ص315)

والمقصود به هنا يعني إلى الإسلام وشرائعه[1]
وكل ما جاء به الشرع فهو خير، ويشمل ما كان خيرا في الدين وما كان خيرا في الدنيا[2]
2- {الْمَعْرُوفِ} المعروف: هو ما استحسنه الشرع والعقل، أو المعروف ما وافق الكتاب والسنة، أو المعروف الطاعة .
- **{ الْمُنْكَرِ}** والمنكر: ما استقبحه الشرع، والعقل، والمنكر ما خالف الكتاب والسنة ، أو المنكر المعاصي [3] .
{المفلحون} هم الناجون من الكربات، الحاصلون على المطلوبات، ففيه أمران:
1 - سلامة. 2 - وكسب.
ولهذا تعتبر كلمة الفلاح من أجمع الكلمات، عن ابن عباس: (وأولئك هم المفلحون) أي الذين أدركوا ما طلبوا، ونجوا من شر ما منه هربوا[4] .
والبينات: الدلائل التي فيها عصمة من الوقوع في الاختلاف لو قيضت لها أفهام [5]
{تفرقوا واختلفوا} تفرقوا في أبدانهم ولم يجتمعوا، وصاروا أحزابا، واختلفوا في قلوبهم وفي مناهجهم، فصار لكل حزب منهج معين يفرح به ولا يتزحزح عنه، ويرى أن من سواه على ضلال[6]
القراءات الواردة في الآيات:
- في القراءات المتواترة: "ولْتكن" بسكون اللام.
وفي القراءات الشاذة قرأ أبو عبد الرحمن، والحسن، والزهري، وعيسى بن عمر، وأبو حيوة: بكسرها "ولِتكن" [7] .
وقرأ عثمان وعبد الله بن الزبير "وينهون عن المنكر ويستعينون بالله [على] ما أصابهم " زاد خمس كلمات ولم تصح وإن صحت فهي من قبيل التفسير.
إعراب الآيات:
قوله تعالى {وَلْتَكُنْ } {اللام} لام الأمر؛ والفعل المضارع إذا دخلت عليه صيرته للأمر.
{ولتكن منكم أمة} : {منكم} يجوز أن تكون (من) بيانية؛ والمعنى: ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير [فالمعنى ولتكونوا كلكم أمة مستقيمة يدعون إلى الخير ومثله {فاجتنبوا الرجس من الأوثان} [الحج: 30] فلم يأمرهم باجتناب بعض الأوثان وإنما المعنى: فاجتنبوا الأوثان فإنها رجس

---

[1] تفسير الطبري جامع البيان - ط دار التربية والتراث (7/ 90) عن مقاتل رواه تفسير ابن أبي حاتم (3/ 727) المفردات في غريب القرآن (ص300)
[2] تفسير العثيمين: آل عمران (2/ 6)
[3] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (5/ 71)
[4] تفسير الطبري جامع البيان - ط دار التربية والتراث (1/ 250) تفسير العثيمين: آل عمران (2/ 8)
[5] التحرير والتنوير (4/ 43)
[6] تفسير العثيمين: آل عمران (2/ 9)
[7] البحر المحيط في التفسير (3/ 290(

ويجوز أن تكون (من) للتبعيض، أي: وليكن بعضكم فريقا يدعون إلى الخير؛ لأن في الأمة من لا يقدر على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لعجز، أو ضعف[1]

{يَدْعُونَ / يأمرون/ ينهون} وحذفت المفاعيل لقصد التعميم أي يدعون كل أحد كما في قوله تعالى: والله يدعوا إلى دار السلام [يونس: 25] [2]

{جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} فعل وفاعل ومفعول، وقوله: {جآءهم البينات} لم يؤنث الفعل للفصل ولكونه غير حقيقي بمعنى الدلائل[3].

بلاغة الآيات:

1- (من) للتبعيض، فيكون الأمر هنا لبعض الأمة أن يكون منها من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وتكون المسألة من باب فروض الكفايات [4] .

{ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر} من باب ذكر الخاص بعد العام اعتناء به كقوله: {وملائكته ورسله وجبريل وميكال} [البقرة: 98] لأن اسم الخير يقع عليهما بل هما أعظم الخيور. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (3/ 339) و هو مؤذن باختصاصهما بمزيد من العناية وإظهار فضلهما على سواهما من الخيرات .

3- **بالمعروف/ المنكر:** يوجد هنا مقابلة وهو طباق؛ حيث طابق بين الأمر والنهي وبين المعروف والمنكر[5] .

4- حذف المفعول الصريح من الأفعال الثلاثة (يدعون، ويأمرون ، وينهون)، وغرضه: إما للإيذان بظهوره أي: يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم، وإما: للقصد إلى إيجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع، أي: يفعلون الدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو: لقصد التعميم أي يدعون كلّ أحد [6] .

5- التعريف في "الخير" و "المعروف" و "المنكر" تعريف الاستغراق، فيفيد العموم في المعاملات بحسب ما ينتهي إليه العلم والمقدرة فيشبه الاستغراق العرفي [7] .

- الإشارة بـ {وأولئك} فيه معنى البعد للإشعار بعلوّ طبقتهم وبُعد منزلتهم في الفضل، والإفراد في "كاف الخطاب" إما : لأن المخاطب كل من يصلح

---

[1] . الهداية الى بلوغ النهاية (2/ 1088) التحرير والتنوير (4/ 38).
تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه - الدرة (2/ 194)

[2] . التحرير والتنوير (4/ 40) تفسير العثيمين: آل عمران (2/ 6)

[3] . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (3/ 339).

[4] الأساس في التفسير (2/ 849)

[5] إعراب القرآن وبيانه (2/ 14)

[6] تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/ 67) التحرير والتنوير (3/ 181)

[7] التحرير والتنوير (3/ 182)

للخطاب، وإما: لأن التعيين غير مقصود أي: أولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة [1] .

{هم المفلحون} ومفاد هذه الجملة قصر صفة الفلاح عليهم، فهو إما قصر إضافي بالنسبة لمن لم يقم بذلك مع المقدرة عليه وإما قصر أريد به المبالغة لعدم الاعتداد في هذا المقام بفلاح غيرهم، وهو معنى قصد الدلالة على معنى الكمال.

﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105] تنكير كلمة "عذاب" التي تدل على التهويل[2]

{لهم عذاب عظيم} العذاب هو العقوبة -والعياذ بالله- لأنه يؤلم صاحبه ويعذبه، والعظيم هو الشيء المستعظم في كيفيته وفي كميته[3]

المعنى الإجمالي للآيات:

رسول الله ﷺ يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[4]،

عن النبي ﷺ قال: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا»[5] .

قوله تعالىٰ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: 105] قال أكثر المفسرين: هم اليهود والنصارى، وقال بعضهم: هم المُبْتَدِعَةُ من هذه الأمة. وقال أبو أمامةُ: هم الحرورية بالشام . وقال عبد الله بن شداد: وقف أبو أمامة - وأنا معه - على رؤوس الحرورية بالشام فقال: كلاب النار كانوا مؤمنين فكفروا بعد إيمانهم، ثُمَّ قرأ: الآية. وروى عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال:﴿ مَنْ سرَّه بَحْبُوحَةُ الجَنَّةِ فَعَلَيْهِ بِالْجَمَاعَةِ؛ فإنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الواحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنينِ أبْعَدُ [6]﴾ .

قوله تعالىٰ **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: 105]** ً والتفرق والافتراق واحد، لما رَوَى أبو برزة -في حديث بيع الفرس -، قال: قال رسول الله ﷺ «البَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا[7]،

---

[1] تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/ 68)

[2] تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل (2/ 32)

[3] . تفسير العثيمين: آل عمران (2/ 10)

[4] رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب بيان كون النهى عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجبان، رقم: 186 .

[5] رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، برقم: 2361 .

[6] رواه أحمد في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث زيد بن خارجة رضي الله عنه ، رقم: 1714 ، (2/ 339)

[7] رواه البخاري في صحيحه، كتاب: البيوع ،باب: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، برقم: 2004 .

وَإِنِّي لأَرَاكُما قَدِ افْتَرَقْتُمَا» ، فجعل التفرُّقَ والافتراقَ بمعنًى واحدٍ، وهو أعلم بلغة الصحابة، وبكلام النبيّ ﷺ.

قال القرطبي: "وأهل اللغة فرَّقوا بين فَرَقْت - مخففاً - وفرَّقت مشدداً، فجعلوه - بالتخفيف - في الكلام، وبالتثقيل في الأبدان" .

قال ثعلب: "أخبَرَني ابن الأعرابيّ، قال: يقال: فرَقْتُ بين الكلامين - مخففاً - فافترقا، وفرَّقْت بين الاثنين بالتشديد فتفرقا" . فجعل الافتراق في القول، والتفرق في الأبدان[1]، وكلام أبي برزة يردّ هذا.

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(104) : أي :لتوجدْ منكم- أيُّها المؤمنون- فِرْقةٌ مُتصدِّيةٌ للقيام بشأنِ الدَّعوة إلى دِين الله تعالى وبيانِ شرائعِه، وقائمةٌ بواجب أمْر النَّاس بامتِثال ما أمرهم به الشَّرع، ونَهْي النَّاس عن ارتكابِ ما نهاهم عنه الشَّرع؛ فإنَّ المتَّصِفين بهذه الصِّفات هم الفائزون في الدَّارين بما يَرْغَبون، والنَّاجون فيهما ممَّا يَرهَبون .

عن حُذيفةَ بن اليَمان رضِي اللهُ عنه، أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قال)) :والذي نَفْسي بيدِه لتَأمرُنَّ بالمعروفِ ولتَنهوُنَّ عن المُنكر، أو ليُوشِكَنَّ اللهُ أن يَبعثَ عليكمْ عقابًا منهُ فتدعونهُ فلا يَستجيبُ لكمْ . ((

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ: أي :لا تكونوا- يا معشرَ المؤمنين- مُتفرِّقين في دِينكم، كما تَفرَّق الذين مِن قبلكم كاليهودِ والنَّصارى الذين اختَلَفوا في دِينهم، فأصبحوا أحزابًا مختلفةً، وذلك مِن بعد ما جاءتْهم دلائلُ الحقِّ الواضحات، وعلِموا الحقَّ المبين، فوقَعوا في مُخالفته عامدين، وعلى اللهِ تعالى مُتجرِّئين

.وقال بعضهم: {تَفَرَّقُواْ واختلفوا} معناهما مختلف؛ فقيل: تفرقوا بالعداوة، واختلفوا في الدين . وقيل: تفرقوا بسبب استخراج التأويلاتِ الفاسدةِ لتلك النصوصِ، واختلفوا في أن حاول كلُّ واحدٍ منهم نُصْرَةَ مَذْهَبِهِ . وقيل: تفرقوا بأبدانهم بأن صار كلّ واحد من أولئك الأخيار رئيساً في بلدٍ [2] .

وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ

أي: لهؤلاء عذابٌ من عند الله عظيمٌ؛ فلا تكونوا مِثْلهم فيكونَ لكم من عِقابِ الله مِثْلُ الذي لهم

الأحكام والفوائد المستنبطة من الآيات:

- إنّ الدعوة إلى الإسلام ونشرها من فروض الإسلام الكفائية، لقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾ [التوبة: 122] .

[1] تفسير القرطبي (5/ 154(

[2] اللباب في علوم الكتاب - محقق (5/ 452(

- الآية أوجبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما امتثال المأمورين والمنهيين لذلك، فموكول إليهم أو إلى ولاة الأمور الذين يحملونهم على فعل ما أمروا به، وأما ما وقع

في الحديث: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه»

- والمعروف والمنكر إن كانا ضروريين يعلمهما كل مسلم بالضرورة من دون الإسلام فحينئذ كان لكل مسلم أن يأمر وينهى فيهما، وإن كانا نظريين، فإنما يقوم بالأمر والنهي فيهما أهل العلم[1]

- ذهب جماعة من العلماء إلى أن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر فرض عين، فيتعيّن على كلّ مسلم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متى قدر على ذلك وتمكن منه، واختلفوا في الذي يسقط الوجوب؛ فقال قوم: الخشية على النفس، وما عدا ذلك لا يسقطه، وقال قوم: إذا تحقق ضربا أو حبسا أو إهانة سقط عنه الفرض وانتقل إلى الندب .

- الأمر والنهي وإن كانا مطلقين في القرآن فقد تقيّد ذلك بالسنة بقوله ﷺ: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[2]» [3] .

- يجب على من يقوم بهذه الدعوة شروط ليؤدي وظيفته خير الأداء، ويكون مثلا صالحا يحتذى به في علمه وعمله، ومجمل تلك الشروط:

أ- أن يكون عالما بالقرآن والسنة وسيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ﷺ .

ب- أن يكون عالما بحال من توجه إليهم الدعوة في شئونهم واستعدادهم وطباعهم وأخلاقهم، أي: معرفة أحوالهم الاجتماعية .

ج- أن يكون عالما بلغة الأمة التي يراد دعوتها، وقد أمر النبي ﷺ بعض الصحابة بتعلم العبرية لحاجته إلى محاورة اليهود الذين كانوا يجاورونه، ومعرفة حقيقة حالهم .

د- معرفة الملل والنحل ومذاهب الأمم، وبذلك يتيسر له معرفة ما فيها من باطل، فإن الإنسان إن لم يتبيّن له بطلان ما هو عليه، لا يلتفت إلى الحق الذي عليه غيره وإن دعاه إليه .[4] .

- التّفرق في الدّين وسياسة الأمة العامة أمر حرام ومنكر عظيم مؤذن بتدمير المصلحة العامة والقضاء على وجود الدولة المسلمة والأمة المؤمنة، وقد عدّ القرآن المتفرقين في الدين من الكفار والمشركين [5] .

---

[1] التحرير والتنوير (4/ 41)

[2] سبق تخريجه

[3] البحر المحيط في التفسير (3/ 289)، والحديث سبق تخريجه .

[4] تفسير المراغي (4/ 22- 23)

[5] التفسير المنير للزحيلي (4/35- 36)

- ملاحظة الإخلاص؛ لقوله {يدعون إلى الخير} لا إلى أنفسهم؛ لأن بعض الناس يدعو إلى نفسه، وبعض الناس يدعو إلى الخير، وعلامة الداعي إلى نفسه أنه لا يريد من الناس أن يخالفوه ولو كان على خطأ[1].

- شروط الأمر بالمعروف[2]:

الشرط الأول: العلم بالشرع، والعلم بالحال، العلم بالشرع بأن أعرف أن هذا مما أمر الله به حتى آمر به، والعلم بالحال بأن أعلم أن هذا الرجل ترك المعروف أو فعل المنكر

الشرط الثاني: أن لا يتغير المنكر إلى ما هو أنكر منه

[1] تفسير العثيمين: آل عمران (2/ 10)

[2] العثيمين: آل عمران (2/ 13